وكاين كامثك يا فضل في الندى ● فقلت فهل فضل يقدم اللوى في النجم
اراك فتثني الفضل عن عادة الندى ● ومن ذا الذي يثني السحاب عن الغيم
مواقع جود الفضل في كل بلدة ● مواقع ماء المزن في البلد القفر
كان وفود الفضل حين تحملوا ● الى الفضل وافوا عنده ليلة القدر

ثم قال رأيت في كتب الجرائح للشهاب الحجازي ما نصه استدعى الفضل بن يحيى شعراء مصره ببغداد فمر شاعر فقير بيده جرة ذاهب بها الى البير فتبعهم الى ان دخلوا دار الفضل فبالغ في اكرامهم والانعام عليهم وراى ذلك الرجل والجرة على كتفه ونظر الى ثيابه الرثة فقال من انت وما حاجتك فانشد يقول

اذا جادت الدنيا عليك فجد بها ● على الناس طرا قبل ان تتفلت
فلا الجود يفنيها اذا هي اقبلت ● ولا البخل يبقيها اذا هي ولت
وما رايت الناس الا الجرة مهما اتى بعرك الهامي اتت بغلتي

فقال املئوا الجرة ذهبا وفضة فمليت له فحسده بعض الحاضرين وقال مثل هذا فقير مجنون لا يعرف قيمة هذا فقال هو ماله يفعل به ما شاء فلما خرج الى الباب فرق الجميع فلما بلغ ذلك الفضل امر برده وغضب وقد خلت الجرة فارغة فقال اين المال الذي جدنا به عليك فقال

يجود علينا الخيرون بما لهم ● ونحن بمال الخيرين نجود

وكان الفضل بيده قوس فيه سهم وقال واشعراه ان لم تقل شعرا يسكن به غضبي لاخرجت هذا السهم من سويداء قلبك فقال

وكاين كامثك يا فضل في الندى ● ومن ذا الذي يرمي السحاب عن الغيم
بقوسك قوس الجود والوتر الندى ● وسهمك سهم الجود فاقتل به فقري

فامر ان تملا له الجرة عشر مرات

علي مدح البرامكة

ومن اخبار الفضل انه مر ببعض ازقة المدينة فسمع رجلا يغني في داره

لو كان بيني وبين الفضل معرفة ● فضل بن يحيى لاعداني على الزمن

فقرع عليه الباب وقال قد عرفك الفضل وسيعينك على الزمن ثم مضى وبعث له بعشرين الفا ويحكى عن عمارة المغني انه قال اصبحت السماء مغيمة واصبح الرشيد مع حرمه فامر ان لا تنصرف الى منزلنا فقلت والله لاذهبن الى استاذي ابراهيم الموصلي فاتعرف خبره فجئت الى بابه وقلت ما صنع استاذي قال ادخل فدخلت فاذا هو جالس في رواق وبين يديه اباريق الخمر والستارة منصوبة والجواري خلفها فقلت ما بالي لم اسمع من وراء الستارة صوتا فقال ويحك انه اتاني اليوم خبر ضيعة تجاورني مدحة واريد اشتراءها وقد ذكرت للبيع واعطي فيها مائة الف درهم فقلت وما يمنعك منها وقد اعطاك الله الكريم اضعاف ذلك قال صدقت ولكن نفسي غير طيبة لاخراجه فجدد منه الامر ت ونقر بقضيب على صينية كانت بين يديه والقى علي

تلك الخلبوا من همي ومن سفري ● وبت من كثرة الاحزان لم انم
يا طالب الجود والمعروف مجتهدا ● اعمد ليحيى حليف الفضل والكرم

قال فاخذته واحكمته ثم قال امض الى باب الوزير يحيى بن خالد فاستاذن عليه وحدثه بما رايت واذكر الضيعة وعرفه اني صنعت هذا الصوت فاعجبني ولم ارى من يستحقه سوى جاريته دنانير واني القيته عليك لتلقيه عليها ثم تاتي بعد بما يكون من الخبر قال فجئت الى باب يحيى واعلمته بالخبر والقيت الصوت على الجارية حتى احكمته وقال لي تقيم عندنا او تنصرف قلت انصرف الحال التي بقاء الوزير فقال يا غلام احمل لابراهيم مائة الف درهم ولمخارق عشرة الاف درهم فحملت

Copyright © King Saud University